موسوعة

حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات

المجلد الثاني

شبهات حول الإعجاز العلمي في الأرض وعلوم البحار

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الشبهة السابعة

نفي الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾(*)

مضمون الشبهة:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥) يؤكد القرآن أن الحديد أُنزل من السماء إلى الأرض، وعلى غرار ما سبق من مطاعن ينفي المشككون إعجاز القرآن العلمي في هذه الآية، وفي سبيل تعضيد موقفهم نجدهم يطرحون - من ناحية أولى - التساؤل الآتي: كيف يمكن أن يكون الحديد الذي يُكوِّن اللب الداخلي للأرض ويشكل ٣٥٪ من كتلتها عنصرًا وافدًا إليها عن طريق النيازك؟

ومن ناحية ثانية يقولون: إن معنى(الإنزال) في الآية هو: الخلق والإيجاد، يؤيد هذا ما قاله المفسرون، كما يؤيده القرآن في قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (الزمر: ٦)، وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ (الأعراف: ٢٦)، فكلمة (أنزلنا) هنا - مثلها كمثل آية الحديد - تعني: خلقنا أو جعلنا، ولا يمكن أن يكون المقصود هو هبوط الأنعام واللباس علينا من السماء، مثلما هبط الحديد كما يدعى الإعجاز يون.

(*) موقع الكلمة www.alkalema.us.

وجها إبطال الشبهة:

١) يقدِّر القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ (الحديد: ٢٥) أن معدن الحديد تم إنزاله من السماء ولم يكن موجودًا في الأرض، وهذا يتطابق مع ما توصل إليه العلماء حديثًا، فهم يقولون: إن انفجارات النجوم العملاقة ساعدت على تشكل الحديد الذي تم قذفه على شكل نيازك اصطدمت بالأرض واستقرت في باطنها، ولا حجة لمن يقول: إنه من غير المعقول أن يكون الحديد الذي يُكوِّن باطن الأرض ويشكل ٣٥٪ من كتلتها عنصرًا وافدًا، ذاك أن الأرض عند انفصالها عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد، ثم رجمت بوابل من النيازك الحديدية التي تحركت بحكم كثافتها الأعلى من كثافة الأرض الابتدائية إلى مركزها.

٢) إن سياق آية الحديد يتجه إلى بيان بعض ما أنزله الله على عباده من السماء - إنزال الكتاب والميزان - وجاءت(وأنزلنا الحديد) معطوفة على ما قبلها لتبين استمرارية الآية في عرض صورة أخرى من صور الإنزال. أما آية الزمر التي يحتج بها الطاعن - ومثلها في ذلك آية الأعراف - فإن سياقها يتحدث عن الخلق، إذ جاء الحديث عن خلق الإنسان ثم جاء ذكر الأنعام، ومن ثم فإن الإنزال هنا بمعنى "الخلق"، فالأصل هو حمل التعبير في القرآن الكريم على ظاهره ما لم توجد قرينة صارفة، وعليه فالنزول في آية الحديد نزول حقيقي ولا يعني الخلق كما يدعى الطاعن، فكان حريًّا به أن يحكم على الآيات من خلال سياقها.

التفصيل:

أولا. يؤكد العلماء أن الحديد تم إنزاله من السماء:

١) الحقائق العلمية:

في دراسة لتوزيع العناصر المختلفة في الجزء المدرك من الكون، لوحظ أن غاز (الإيدروجين) هو أكثر العناصر شيوعًا إذ يُكوِّن أكثر من ٧٤٪من مادة الكون المنظور، ويليه في الكثرة غاز (الهيليوم) الذي يكون حوالي ٢٤٪ من مادة الكون المنظور، وأن هذين الغازين ـ وهما يمثلان أخف العناصر وأبسطها بناء ـ يكونان معًا أكثر من ٩٨٪ من مادة الجزء المدرك من الكون، بينما باقي العناصر المعروفة لنا وهي أكثر من مائة عنصر مجتمعة تكوِّن أقل من ٢٪ من مادة الكون المنظور.

وقد أدت هذه الملاحظة إلى الاستنتاج المنطقي أن أنوية غاز (الإيدروجين) هي لبنات بناء جميع العناصر المعروفة لنا، والتي تخلقت باندماج أنوية هذا الغاز البسيط مع بعضها البعض في داخل النجوم بعملية تعرف باسم: عملية الاندماج النووي، تنطلق منها كميات هائلة من الطاقة التي تعرف باسم: طاقة النجوم، وتتم عملية الاندماج النووي في داخل نجوم السماء الدنيا بتسلسل من أخف العناصر إلى أعلاها وزنًا ذريًّا وتعقيدًا في البناء حتى يتحول قلب النجم إلى الحديد، فينفجر النجم وتتناثر أشلاؤه في صفحة السماء لتصطاد عددًا من اللبنات الأولية للمادة مكونة عناصر أعلى في وزنها الذري، أو تهبط إلى أحد الكواكب أو النجوم التي تحتاج في تواجدها إلى الحديد.

فشمسنا تتكون أساسًا من غاز(الإيدروجين) الذي تندمج أنويته مع بعضها البعض لتكون غاز (الهيليوم)، وتنطلق طاقة هائلة تبلغ عشرة ملايين درجة مئوية، ويتحكم في هذا التفاعل عاملان، هما زيادة نسبة غاز (الهيليوم) المتخلق بالتدريج، وتمدد الشمس بالارتفاع المطرد في درجة حرارة لبها، وباستمرار هذه العملية تزداد درجة الحرارة في داخل الشمس تدريجيًّا، وبازديادها ينتقل التفاعل إلى المرحلة التالية التي تندمج فيها نوى ذرات (الهيليوم) مع بعضها البعض في سلسلة من الاندماجات

المتسلسلة حتى تصل إلى إنتاج نوى ذرات الكربون(١٢)، ثم الأكسجين(١٦)ثم النيون(٢٠)، وهكذا.

وفي نجم عادي مثل شمسنا التي تقدر درجة حرارة سطحها بحوالي ستة آلاف درجة مئوية، وتزداد درجة الحرارة تدريجيًّا في اتجاه مركز الشمس حتى تصل إلى حوالي ١٥ مليون درجة مئوية، ويقدر علماء الفيزياء الفلكية أنه بتحول نصف كمية (الإيدروجين) الشمسي تقريبًا إلى (الهيليوم)، فإن درجة الحرارة في لب الشمس ستصل إلى مائة مليون درجة مئوية، مما يدفع بنوى ذرات (الهيليوم) المختلقة إلى الاندماج في المراحل التالية من عملية الاندماج النووي، مكونة عناصر أعلى في وزنها الذري مثل الكربون ومطلقة كمًّا أعلى من الطاقة.

ويقدر العلماء أنه عندما تصل درجة حرارة لب الشمس إلى ستمائة مليون درجة مئوية يتحول الكربون إلى صوديوم ثم إلى مغنيسيوم ثم إلى نيون، ثم تنتج عمليات الاندماج النووي الآتية، عناصر الألومنيوم، والسيليكون، والكبريت، والفسفور، والكلور، والأرجون، والبوتاسيوم، والكالسيوم، على التوالي، مع ارتفاع مطرد في درجة الحرارة، حتى تصل إلى ألفي مليون درجة مئوية حين يتحول لب النجم إلى مجموعات التيتانيوم، والفاناديوم ، والكروم، والمنجنيز، ومجموعة عناصر الحديد(الحديد والكوبالت والنيكل)

ولما كان تخليق هذه العناصر يحتاج إلى درجات حرارة مرتفعة جدًّا لا تتوافر إلا في مراحل خاصة في حياة النجوم العملاقة تعرف باسم: العماليق العظام، وهي مراحل توهج شديد جدًّا، فإنها لا تتم في كل نجم من نجوم السماء، ولكن في مراحل خاصة

من مراحل حياة النجوم العملاقة عند انفجارها تعرف باسم مرحلة المستعرات العظمى، وحين يتحول لب النجم إلى حديد، فإنه يستهلك طاقة النجم بدلًا من إضافة مزيد من الطاقة إليه؛ وذلك لأن نواة ذرة الحديد هي أشد نوى العناصر تماسكًا، وهنا ينفجر النجم على هيئة ما يسمى باسم: المستعر الأعظم من النمط الأول أو الثاني حسب الكتلة الابتدائية للنجم، وتتناثر أشلاء النجم المنفجر في صفحة السماء لتدخل في نطاق جاذبية أجرام سماوية تحتاج إلى هذا الحديد تمامًا، كما تصل النيازك الحديدية إلى أرضنا بملايين الأطنان في كل عام.

فجوة ضخمة (يبلغ قطرها ٣٢ كم تقريبًا) تكونت من جرَّاء ارتطام نيزك بأرض ولاية أريزونا

ولما كانت نسبة الحديد في شمسنا لا تتعدى ٠٠٣٧ , ٠٪، وهي أقل بكثير من نسبة الحديد في كل من الأرض وعطارد والزهرة والمريخ، وفي النيازك الحديدية التي

تصل إلينا من فسحة الكون، ولما كانت درجة حرارة لب الشمس لم تصل بعد إلى الحد الذي يمكنها من إنتاج السيليكون أو المغنسيوم، فضلًا عن الحديد، كان من البديهي استنتاج أن كلًّا من الشمس والأرض وكواكب المجموعة الشمسية المشتملة على نسب مختلفة من الحديد، قد استمدوا ما بهم من حديد من مصدر خارجي عن مجموعتنا الشمسية في فسحة الكون.

وعلى ذلك فإن أرضنا حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد المكون من العناصر الخفيفة، ثم رجمت هذه الكومة بوابل من النيازك الحديدة التي انطلقت إليها من خارج المجموعة الشمسية، فاستقرت في لبها بفضل كثافتها العالية وسرعتها الكونية الفائقة، فانصهرت بحرارة الاستقرار، وصهرت كومة الرماد ومايزتها إلى سبع أرضين: لب صلب على هيئة كرة ضخمة من الحديد والنيكل تصل فيها نسبة الحديد إلى ٩٠٪ والنيكل إلى ٩٪ وبعض العناصر الخفيفة من مثل: الكبريت، والفسفور، والكربون إلى١٪، يليه إلى الخارج لب سائل له نفس التركيب الكيميائي تقريبًا، ويُكوِّن لبا الأرض: الصلب والسائل معًا حوالي ٣١٪ من مجموع كتلة الأرض.

ويلي لب الأرض إلى الخارج وشاح الأرض (***mante***)، المكون من ثلاثة نطق: (أسفل، أوسط، أعلى)، ثم الغلاف الصخري للأرض (***lithosphere***)، وهو مكون من نطاقين، قشرة الأرض(***crust***) وما دون القشرة (***subcrust***)، وتتناقص نسبة الحديد من لب الأرض إلى الخارج باستمرار حتى تصل إلى ٦ , ٥ ٪ في قشرة الأرض .

صورة حقيقية لأحد النيازك التي تصل إلى الأرض سنويًّا بمعدل مليون إلى ٢٠ مليون طن، ومنها النيازك الحديدية، والحديدية الصخرية، والصخرية.

من هنا ساد الاعتقاد بأن الحديد الموجود في الأرض والذي يشكل ٣٥,٩٪ من كتلتها، لا بد وأنه قد تكون في داخل عدد من النجوم المستعرة من مثل العماليق العظام، والتي انفجرت على هيئة المستعرات العظام فتناثرت أشلاؤها في صفحة الكون، ونزلت إلى الأرض على هيئة وابل من النيازك الحديدية، وبذلك أصبح من الثابت علميًّا أن كل حديد الأرض قد أنزل إليها إنزالًا من السماء، ليس هذا فقط، بل إن الحديد في مجموعتنا الشمسية كلها قد أنزل كذلك إليها من السماء، وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها إلا في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين[1].

٢) التطابق بين الحقائق العلمية وبين ما أشارت إليه الآية الكريمة:

1. الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، مرجع سابق، صـ١٢٣: ١٢٧.

ينكر الطاعن الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد) قائلًا: يدعي الإعجازيون أن القرآن يقول: إن الحديد أنزل من السماء إلى الأرض، ويقولون: إن الحديد لم يتكون في المجموعة الشمسية بل جاء إليها من الخارج؛ لأنه لم يكن بها ما يكفي من طاقة لظهور عنصر الحديد.

ويتساءل الطاعن: كيف لا يكون الحديد من العناصر المكونة لكوكب الأرض وهو من أكثر العناصر انتشارًا بها، ويشكل حوالي ٣٥٪ من مجموع كتلتها؟ كما أن اللب الداخلي للأرض يحتوي على الحديد، فكيف يستوي هذا مع عدم ظهوره فيها إلا عن طريق هبوطه بالنيازك؟

وردًّا على ذلك نقول: ليس بغريب أن يذكر الطاعن كلامًا كهذا؛ فمن الواضح أنه لم يطلع على كثير من الحقائق العلمية التي أثبتها العلماء حديثًا بشأن تكوُّن عنصر الحديد، فإلى أواخر الستينيات من القرن العشرين لم يكن أحد من العلماء يتصور ـ ولو من قبيل التخيل ـ أن هذا القدر الهائل من الحديد قد أنزل إلى الأرض من السماء إنزالًا حقيقيًّا، كيف أنزل؟ وكيف تسنى له اختراق الغلاف الصخري للأرض بهذه الكميات المذهلة؟ وكيف أمكنه الاستمرار في التحرك بداخل الأرض حتى وصل إلى لبها؟ وكيف شكل كلًا من لب الأرض الصلب ولبها السائل على هيئة كرة ضخمة من الحديد والنيكل يحيط بها نطاق منصهر من نفس التركيب؟ ثم كيف أخذت نسبته في التناقص باستمرار في اتجاه قشرة الأرض الصلبة؟

ولكن في أواخر القرن العشرين ثبت لعلماء الفلك والفيزياء الفلكية أن الحديد لا يتكون في الجزء المدرك من الكون إلا في مراحل محددة من حياة النجوم العملاقة ـ كما ذكرنا آنفًا ـ التي تُسمى: بالعماليق العظام، والتي بعد أن يتحول لبها بالكامل إلى حديد تنفجر على هيئة المستعرات العظام، وبانفجارها تتناثر مكوناتها بما فيها الحديد من صفحة السماء، فيدخل هذا الحديد ـ بتقدير من الله تعالى ـ في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه، مثل أرضنا البدائية التي وصلها الحديد الكوني وهي كومة من الرماد، فاندفع إلى قلب تلك الكومة بحكم كثافته العالية وسرعته الكونية المندفع بها، فانصهر بحرارة الاستقرار في قلب الأرض البدائية وصهرها، ومايزها إلى سبع أرضين[1].

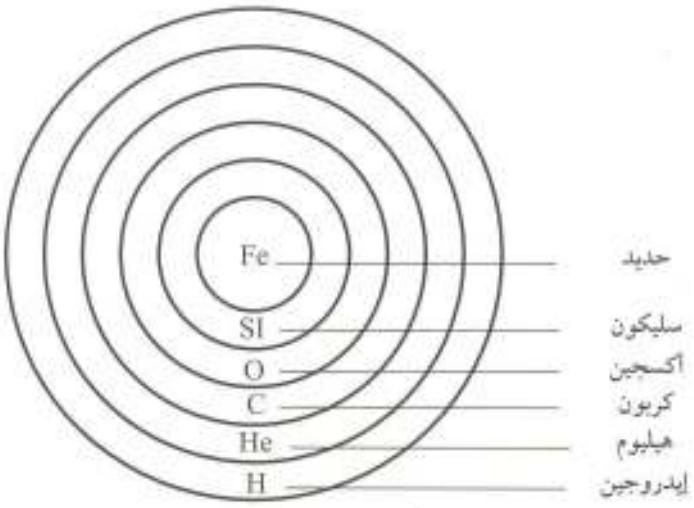

مراحل تحول قلب النجم إلى حديد.

ويقول العلماء: إن الأرض تشكلت قبل أربعة بلايين ونصف بليون عام، وكانت النيازك والمذنبات تقصفها بشدة وعنف بحيث كانت الحرارة المنبعثة من هذا القصف ـ

1. المرجع السابق، صـ١٢١، ١٢٢.

فائق السرعة ـ عظيمة لدرجة كافية لإذابة الكوكب بأكمله، ثم بدأت الأرض تبرد بعد ذلك واستمرت تبرد إلى اليوم، وأخذت المواد الأكثر كثافة ـ مثل الحديد ـ والقادمة من تلك النيازك طريقها إلى قلب ومركز الأرض، بينما صعدت السيليكات الأخف وزنًا، وكذلك مركبات الأكسجين الأخرى والماء القادم من المذنبات إلى قرب السطح [1].

وقد أكد البروفسور **إرمسترونج** ـ وهو من أكبر علماء وكالة ناسا الفضائية الأمريكية ـ حينما سئل عن كيفية تكون الحديد: (لقد أجرينا أبحاثًا كثيرة على معادن

1. وأنزلنا الحديد، الشيخ عبد المجيد الزنداني، مقال منشور بموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.nooran.org

الأرض، ولكن المعدن الوحيد الذي يحير العلماء هو الحديد، فذرات الحديد ذات صفات مميزة، ولكي تتحد الإلكترونات والنيترونات في ذرة الحديد، فهي محتاجة إلى طاقة هائلة تبلغ أربعة أضعاف الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية! ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض، ولا بد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض ولم يتكون بها[1].

وتذكر الموسوعة البريطانية: "إن أصل تكون الأرض عن طريق النمو التراكمي للكويكبات هي فرضية موثقة، والنيازك هي الأمثلة المحتملة للكويكبات التي عاشت في مرحلة ما قبل التكوكب من النظام الشمسي، وهكذا يظهر أن الأرض قد تشكلت بتراكم الأجسام الصلبة مع التركيب المتوسط للنيازك الحجرية".

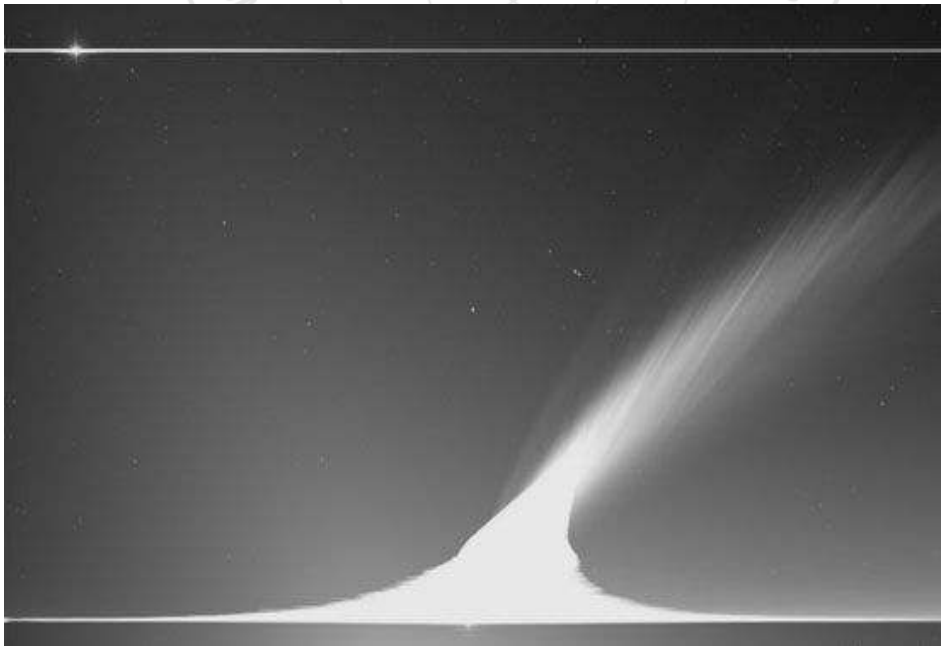

صورة تثبت أن الحديد نزل من السماء.

1. من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. عاطف المليجي، ط٤، ٢٠٠٤م، ص٩٤، ٩٥.

والصورة السابقة صورة عرضها موقع ناسا للفضاء، وقال العلماء: إنها صورة لمذنب يسبح في الكون، ويبلغ طوله أكثر من ٣٠ مليون كيلو متر، ومن المحتمل أن يصطدم بأي كوكب يصادفه، ولدى تحليل هذا المذنب تبين أن ذيله عبارة عن مركبات حديد، أما النيازك التي سقطت على الأرض منذ بلايين السنين والمحملة بالحديد، فقد أغنت الأرض بهذا العنصر؛ ولذلك عندما تحدث القرآن عن الحديد أكد أنه نزل من السماء: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ **(الحديد: ٢٥)**، وهذا يتطابق مع العديد من الدراسات التي تؤكد نزول الحديد واستقراره في باطن الأرض[1].

وعلى الرغم من انتقادات الطاعنين ستبقى هذه الآية من آيات الإعجاز العلمي الشاهدة على صدق النبوة المحمدية، فلو كان النبي ﷺ هو من ألف القرآن، فمن أين جاء بهذا العلم؟ ومن الذي علمه هذه الحقائق قبل أن يكتشفها العلماء بأربعة عشر قرنًا؟ إنه الله تعالى الذي وصف نبيه بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ **(النجم)**.

ثانيا. الإنزال في آية الحديد إنزال حقيقي ولا يعني الخلق فقط:

لجأ المفسرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ **(الحديد: ٢٥)** إلى أن الإنزال هنا بمعنى: الخلق والإيجاد والتقدير والتسخير، ومن هنا يلتقط المشككون طرف الخيط مستندين إلى أقوال المفسرين من ناحية، وإلى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ **(الزمر: ٦)** من ناحية أخرى، قائلين: إن

1. هذا خلق الله: انفجار رائع للنجوم، عبد الدائم الكحيل، مقال منشور بموقع www.kaheel7.com

"أنزل" هنا تعني "خلق"، قال ابن كثير:قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ (الزمر: ٦)، أي: وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج، وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين) وهنا يسأل الطاعن سؤالًا مؤداه: هل هبطت الأنعام أيضًا من السماء مثلما هبط الحديد كما يزعم الإعجاز يون؟!

وهم لا يكتفون بذلك،بل يستندون إلى آيات أخرى لتعضيد موقفهم، منها قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ (الأعراف: ٢٦)، ويتبادر إلى ذهن الطاعن هنا السؤال نفسه الذي سبق وأن طرحه: هل هبط اللباس علينا من السماء أيضًا؟

وللرد على هذه الشبهة يجب ـ أولًا ـ أن نسرد بعض من الآيات مقتطعة من سياقها؛ جريًا على طريقة أولئك الذين يلقون بشبههم ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أو أنهم جاءوا بأمور لم يسبقهم إليها أحد، فعلى طريقتهم في فهم كتاب الله، فالويل كل الويل لمن صلى، فالله تعالى يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ (الماعون) وكذلك على الدعاة أن يبلغوا أقوامهم بترك الصلاة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (النساء: ٤٣)،وهكذا... فالأصل أن يؤخذ الكلام في سياقه ليتضح معناه، أما اقتطاع الكلام من سياقه فإنه يُخل بمعناه غالبًا.

وترتيبًا على ما سبق نقول:

- إن ما اسْتُشْهد به من أقوال أئمة المفسرين من قولهم إن معنى "الإنزال" في آيةالحديد "الخلق"، فهو اجتهاد من علماء مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر، فهم مأجورون على كل حال، ولكن هذا لا يعني أنهم معصومون،

ولا أن ما يقولونه حجة على كتاب الله أو على خلقه، إنما يتضح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عن طريق موافقة الحقائق العلمية الثابتة حديثًا ـ سواء من المسلمين أو غيرهم ـ لما جاء في كتاب الله أو في سنة نبيه ﷺ، فتكون هذه الموافقة حجة دامغة على أن القرآن من عند عليم خبير، خالق لهذا الكون، لا من عند بشر يخطئ ويصيب.

ومن هنا يتضح معنى قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ **(فصلت)**، فهذه الآية تنص على أن الله سيجعل في هذا القرآن من الآيات والأدلة ما بها تقوم الحجة على الخلق، إلى قيام الساعة وليس لزمن محدود أو عصر من العصور، فمن أين تريد أن يعلم المفسر الذي عاش قبل ثمانمائة سنة بهذه الدقائق الكونية، التي ما عرفها أحد قبله ولا بعده إلا بعد أن تراكمت الجهود واخترعت وسائل الكشف والمراقبة[1].

وليس معنى هذا أن المفسرين كلهم فسروا الإنزال بالخلق، ولكن منهم من فسر اللفظ على ظاهره، فنحن إذا بحثنا أقوال المفسرين في هذه المسألة، نجدهم منقسمين إلى فريقين، **الأول**: فسر اللفظ على ظاهره، فقال: (وأنزلنا الحديد) بمعنى: أن الله أنزل الحديد من السماء كما أنزل آدم من السماء، وهو قول ابن عباس وعكرمة، وإليه ذهب الطبري والقرطبي والواحدي. **والثاني**: اضطر إلى تأويل اللفظ عن ظاهره؛ لاستبعاد إمكانية تصور نزول الحديد إلى الأرض من السماء، وكما يشاهدون في أزمنتهم وبيئاتهم من استخراج الحديد من باطن الأرض، فقال: (وأنزلنا الحديد) بمعنى: أنشأناه وجعلناه، وهو قول الحسن، وإليه ذهب ابن كثير والثعالبي والشوكاني وكثير من

1. الإعجاز في صورة الحديد، قسطاس إبراهيم النعيمي، مقال منشور بموقع www.laghouat.net

المفسرين[1].

- إذا أخذنا كلمة (أنزلنا) يجب أن نحكم على معناها من سياق الآية التي وردت فيها ولا نقارنها بآية أخرى وردت فيها الكلمة نفسها، فسياق الآية الأخرى قد يكون مختلفًا فتختلف معه كلمة(أنزلنا)، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه أصحاب الشبهة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ **(الحديد: ٢٥)**، فمن أين جاءت الكتب السماوية؟ ألم تنزل من السماء على أنبياء الله إلى الأرض؟ ألم ينزل الزبور وألواح التوراة على داود وموسى إلى الأرض، إذن كلمة (**وأنزلنا معهم**) تعني أنها نزلت من السماء إلى الأرض؛ ومن ثمَّ فإن سياق الآية يتجه إلى بيان بعض ما أنزله الله على عباده من السماء، وجاءت (**وأنزلنا معهم**) معطوفة على ما قبلها؛ لتبين استمرارية الآية في عرض صورة أخرى من صور الإنزال من السماء على الأرض بعد إنزال الكتاب والميزان، إذن "**وأنزلنا الحديد**" معناه هبوطه من السماء.

- أما سورة الزمر فالآية تتحدث عن خلق الإنسان، ثم جاء ذكر الأنعام: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ **(الزمر)**، إذن سياق الآية يتحدث عن الخلق، لذلك فإن (أنزلنا) هنا تعني الخلق؛ لأننا ـ كما قلنا ـ لا نأخذ معنى كلمة لها عدة دلالات من آيات مختلفة، ولكن نأخذ معناها من سياق الآية التي ذكرت فيها، فمعنى كلمة(أنزلنا) في سورة

1. وأنزلنا الحديد، الشيخ عبد المجيد الزنداني، مقال منشور بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.nooran.com

الحديد هو الهبوط من السماء، مهما كان معنى كلمة (أنزلنا) في سورة الزمر، سواء كانت الخلق أو الهبوط[1].

- إن ظاهرة تباين اللفظ تبعًا للسياق من الخصائص الأساسية في لغات التخاطب، وهي أجلى ما تكون في لغة القرآن الكريم، وسماها اللغويون(الوجوه)، والدلالات المعجمية لنفس اللفظ لا يتحدد إحداهما إلا من خلال السياق، والدلالة الحسية في (أنزلنا) لا تستبعد إلا بقرائن صارفة ولا تنفى الدلالة المعنوية، أما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ **(الحديد: ٢٥)**، فيستقيم حمل لفظ (الإنزال) على الأصل، وهو الدلالة الحسية، باعتبار تعلق المقام هنا بخلق الأرض، لمجيء بيان إنزال الحديد، وهو من أثقل مكونات الأرض، في مقابل بيان إخراج المواد الأخف من الأرض نحو السطح في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾ **(النازعات)**، وهذا ما يتفق تمامًا مع المعرفة الحديثة من خروج كل ما أدى في النهاية إلى وجود مظاهر الحياة من نبات وحيوان، المعبر عنها باللفظ الجامع (مرعاها)، بعد التهيئة بتكثف بخار الماء وانقشاع دخان البراكين، في مقابل هبوط أثقل المواد من مثل الحديد نحو لب الأرض، الذي يتكون معظمه بالفعل من حديد[2].

- ومن ثم فإن الأصل هو حمل التعبير في القرآن الكريم على ظاهره، حتى تأتي

---

1. **الإعجاز في سورة الحديد، قسطاس إبراهيم النعيمي، مقال منشور بموقع** *www.laghouat.net*.

2. **شبهة حول قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾، محمد دودح، مقال منشور بموقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي** *www.nooran.org*

قرينة صارفة تبيح حمله على ضرب المثل، والتمثيل في القرآن الكريم كثير، وهو أبلغ سبيل لبيان المراد بحالة مماثلة، نحو ما يصرح به قوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النور)، وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (إبراهيم).

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ (النساء) ظاهر التعبير: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ انتقال ضوء الشمس نحو الأرض، ولكن السياق يتعلق بإقامة البرهان في مجال الدين بقرينة التعبير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، ولذا لم يختلف المفسرون في تأويل لفظ (النور) وصرفه عن ظاهر دلالته، وبيان أن المراد به هو القرآن الكريم. وهكذا نرى أن التصوير يجسد الدلالة ويطلق العنان لتوارد فيض من المضامين، فيبلغ بالتعبير أعلى المراتب في البيان.

فقد ورد فعل (الإنزال) هنا؛ ليفيد الانتقال من الأعلى إلى الأسفل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ (البقرة)، وأما قوله تعالى: (وأنزلنا الحديد)؛ فيمكن حمله على النزول إلى لب الأرض لانتقاء ما يصرف اللفظ عن ظاهره، ولا حجة لمن يقول: إن معظم لب الأرض حديد؛ حيث طابقت شهادة الواقع صريح الآية.

وقد تمنع القرائن الصارفة من حمل (الإنزال) على الظاهر، كأن يكون الموصوف من المعنويات، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الفتح: ٤)، والقرينة أن السكينة حالة شعورية وليست تكوينًا ماديًّا، ولذا جاء عن ابن عباس

رضي الله عنهما أنه صرف النزول إلى (الجعل)، فقوله: (أنزل السكينة) أي: جعل الطمأنينة.

وفي وصف بعثة النبيين ـ عليهم السلام أجمعين ـ في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة: ٢١٣) لا تدل المعية بنزول الكتاب معهم على هبوطهم من السماء، وإنما فعل البعث يصرف(الإنزال) إلى التصوير تشريفًا لهم وبيانًا لوحدة الرسالة لتوحيد الكتاب، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف).

- أما قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف: ٢٦)، فلا يفيد بالمثل أن ما نلبسه هبط من السماء، لأن مصدره معلوم كالصوف من الحيوان والقطن من نبات الأرض، ولذا اجتهد المفسرون في صرف (أنزلنا) عن معنى الهبوط، قال الشوكاني(عبر سبحانه بالإنزال ، عن الخلق، أي: خلقنا لكم لباسًا). وقال الجصاص: وإنما قال أنزلنا لأن اللباس يكون من نبات الأرض أو من جلود الحيوانات وأصوافها، وقوام جميعها بالمطر النازل من السماء.

- وأخيرًا ليس هناك ما يمنع أن يكون الإنزال في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ (الأعراف: ٢٦) إنزالًا حقيقيًّا وليس بمعنى الخلق، فحرف الجر الملصق بالضمير(عليكم) يدل على أن الإنزال في هذه الآية حقيقي، فالله خلق ثم أنزل، وكذلك ليس هناك ما يمنع أن تكون الأنعام أنزلت مع كونها

مخلوقة في الأصل، فهي خلقت ثم أنزلت، مثلما خلق آدم وحواء وإبليس ثم أنزلوا.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ ﴾ (الأنعام)، فهل يزعم معترض أن التنزيل هنا بمعنى الخلق؟ كلا لأن هذا مخالف لسياق الآية، فالملائكة تنزل من السماء وهي مخلوقة، كما أن نزول الخبر على بني إسرائيل لا ينفي صنع الإنسان له، فقد جاء في التوراة، فقال الرب لموسى: "أنا أُمطر لكم خبزًا من السماء ،فيخرج الشعب، ويلتقطون حاجة اليوم بيومها"(سفر الخروج ١٦:٤)[1].

ومن ثم فالنزول في آية الحديد نزول حقيقي ولا يعني الخلق فقط، ويجب علينا أن نحكم على معنى كلمة أنزلنا من سياق الآية التي وردت فيها ولا نقارنها بآية أخرى وردت فيها الكلمة نفسها؛ لأن سياق الآية الأخرى قد يكون مختلفًا فيختلف معه معنى الكلمة، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه الطاعن.

٣) وجه الإعجاز:

لم يتمكن الإنسان من معرفة حقيقة أن الحديد أنزل من السماء إلى الأرض إلا بعد أن امتلك من الوسائل العلمية ما تمكن به من معرفة ما جرى وما يجري في أعماق النجوم البعيدة لتكوين عنصر الحديد، وبعد أن تمكن من تحويل بعض العناصر الخفيفة إلى عناصر ثقيلة وحساب ما يحتاج إليه ذلك من طاقة عالية، وعجزه عن تكوين مادة الحديد من مواد أخف منه؛ إذ يتطلب ذلك طاقة تساوي أربعة أضعاف طاقة المجموعة

1. شبهة إنكار نزول الحديد من السماء في القرآن، وليد المسلم، مقال منشور بموقع www.almeshkat.net

الشمسية، كما أن استخراج البشر للحديد من مناجمه في باطن الأرض جعلهم لا يتوقعون أن يكون الحديد قد أنزل من السماء إلى الأرض، وحملهم على الاعتقاد بأنه خلق مع سائر العناصر الأرضية، لذلك خلت العلوم التجريبية من أية إشارة إلى هذه الحقيقة قبل الربع الأخير من القرن العشرين، وكذلك اضطر كثير من المفسرين إلى تأويل اللفظ القرآني(وأنزلنا الحديد) إلى معنى لا يحتمله اللفظ، بما فيهم مفسرون معاصرون عاشوا في القرن العشرين، فمن أخبر محمدًا ﷺ بهذه الحقيقة التي لم تعرفها البشرية إلا في الربع الأخير من القرن العشرين؟!

www.eajaz.org

رابطة العالم الإسلامي MUSLIM WORLD LEAGUE

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الرقم الموحد : ٩٢٠٠١٠٠٩٧

ص.ب ١١٢٨٣٣ جدة ٢١٣٧١

مكة المكرمة : تليفاكس ٥٦٠١٣٣٢ ص.ب ٥٧٣٦

جدة : هاتف ٦٨٢٤٦٠٨ - فاكس ٦٨٢٠٣٢٨

المدينة المنورة : هاتف ٨٦٤٤٨٣٠

الرياض : هاتف ٢٥٣٣٥٥٥

الطائف : هاتف ٧٤٤١٦٨٦

الشرقية : هاتف ٨٩٧٣٢٠٠

عسير : هاتف ٢٢٦٣٣٣٣

اللجنة النسائية - مكة المكرمة : هاتف ٥٤١٣٣٣٥

اللجنة النسائية - المدينة المنورة : هاتف ٨٦٤٤٣٥٠

اللجنة النسائية - جدة : هاتف ٦٨٣٧٦٥٠

اللجنة النسائية - الطائف : هاتف ٧٤٨٧٤٧١

اللجنة النسائية - الدمام : هاتف ٨٤٣٢٣٥٨

المكاتب الخارجية

مصر (القاهرة): ٢٠٢٢٢٧١١١٣٥ + المغرب (الرباط): ٢١٢٦٦٧٩٩٦٧٧٤+

الجزائر (الجزائر): ٢١٣٣٦٩٣٨١٤٥ + السودان (الخرطوم): ٢٤٩١٨٣٤٣٤٨٩٥+

تركيا (اسطنبول) : ٩٠٥٣٢٣٢٣٨٨٠٠+

e-mail: info@eajaz.org www.eajaz.org

MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية الاعتبارية المستقلة؛ تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعمل على نشرها. أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ، لتوفر وسيلة معاصرة للدعوة الإسلامية تقدم بها البرهان الساطع والحجة البالغة على صدق الرسالة المحمدية من خلال العلم؛ هذا الشاهد العدل الذي ارتضاه عالمنا المعاصر حكماً ومرجعاً.

الـرؤيـة

هيئة عالمية رائدة . . لمعجزة نبوية خالدة.

الـرسـالة

تحقيق أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وإظهارها للناس كافة.

الاستراتيجية

- مرجعية شرعية وعلمية لعلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- نشر وإبراز أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- تنمية الموارد المالية و تنويع مصادرها.
- استخدام التقنيات الحديثة وتطويرها لخدمة برامج وأهداف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

رقم حساب الهيئة بالبنك الأهلي التجاري

SA751 0000000 155055 000109

www.eajaz.org e-mail: info@eajaz.org